

تنمية مهارة الإبداع

صالح الهطالي

٤ من شعبان لعام ١٤٢٥ هـ / ١٨ من سبتمبر لعام ٢٠٠٤ م

لقد منَّ الله - سبحانه وتعالى - علينا بنعم جليلة لا يعلم عددها وعظمتها إلا هو سبحانه، وهو يُدكِّرنا بذلك فيقول: ﴿وَأِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم: ٣٤)، ويقول: ﴿وَأِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النحل: ١٨). وقد طالبنا - سبحانه - بأن نشكره على هذه النِّعم، فقال: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى: ١١)، وشُكره ليس بالثناء عليه باللسان فحسب، ولكن بتفعيل تلك النِّعم، واستخدامها في الأطر التي حدَّدها لنا سبحانه.

والعقل هو من أجَلِّ هذه النِّعم على الإطلاق، فبه ميِّز الله - عز وجل - هذا الكائن العجيب عما سواه من كائنات، وبه يرتقي الإنسان من حضيض البهائم العُقل إلى مصافِّ الملائكة المقرَّبين. والعقل طاقة هائلة لا يُستغلُّ منها سوى ٢٪ من قدرتها، وعدم استغلالها سيُصيب العقل بالترهُّل. وقد أثبت الباحثون أنه ترُدُّ على الإنسان ما يزيد عن ٥٠٠٠ فكرة في اليوم، يتلاشى معظمها نظرًا لعدم إعارتها الاهتمام المطلوب من تدوينها وبلورتها. كذلك، فإن الله - سبحانه وتعالى - قد هيا لك أيها الإنسان اثنتي عشرة فرصة في كل يوم وليلة من مثل التي تأتت لبعض العلماء والعظماء والمشهورين الذين غيرُوا مجرى الأحداث في العالم بأسره، وأنت لا تحتاج للتعرف على تلك الفرص وكيفية الاستفادة منها إلا بتعلُّم الطرق العلمية الصحيحة التي ستعينك على ذلك.

وإذا أمعنت النظر حولك لوجدت الملايين من حملة الشهادات، ولكن كم منهم أثر في مجريات الأحداث في هذا العالم؟ حاول أن لا تكون واحدًا من تلك الملايين، وذلك بأن لا تقنع فقط بأداء الأعمال البسيطة التي تعود الناس عليها - رغم حاجتنا إليها - لأن مثل تلك الأعمال ستقنع عقلك

الباطن بأنك لست أهلاً لما هو أجلُّ وأعظم منها، وهي أيضاً سُميت فيك المهمة العالية وروح التجديد. وإذا حضرتك همَّتْكَ فعليك أن توجَّهها نحو العالمية في فكرها وإنتاجها، أي ما سيخدم الأمة بأسرها.

وفي هذه المقالة المختصرة سأشرح لك كيف يمكنك استثارة عقلك الباطن ليُجلب لك الأفكار العظيمة، وكيف يمكنك اقتناص تلك الأفكار وتدوينها، ثم تطبيقها على أرض الواقع. وبما أنه لا يتسع المقام هنا لبسط كل ما ستحتاج إليه في هذه المراحل فإني أنصحك بالرجوع إلى الكتب التي ألفت في هذا الشأن، وهي كثيرة بحمد الله. كذلك، لا تبخل على نفسك بحضور بعض الدورات المتخصصة في هذا الجانب.

كيف تُشجِّع إتيان الأفكار؟

- حاول أن تُبقي نفسك- وفي جميع أحوالك- في حالة نفسية سعيدة ومتفائلة، وتجنَّب ما يمكن أن يجلب إليك الحزن والضيق والتشاؤم، فإنها مدبِّرة لجسدك، مُضعِفة لعقلك، مُبِدِّدة لأفكارك.
- تشير الدراسات إلى أن لحظات الاسترخاء - بما فيها لحظات ما قبل النوم وأنت مستلقٍ على السرير، واللحظات التي تعقب انتباهك من نومك مباشرة - هي أكثر اللحظات التي يمكن أن تَرِدَ فيها عليك أفكارٌ مفيدة. فإذا جاءتك فكرة وأنت في واحدةٍ من تلك اللحظات، فلا تحاول أن تُفوّتها- كأن تغالب نفسك مثلاً بالنوم، وإنما عليك الانغماس التام ذهنياً في طرح الفكرة من جميع جوانبها، وإني أعدُّك بأنك ستشعر بسعادة كبيرة، وخاصة بعد فراغك من ذلك الطور، وعودتك إلى حياتك المعتادة.

- أوجد ما يُنَشِّط هذه الأفكار؛ وذلك بإثارة أحاسيسك الداخلية، وإتاحة الفرصة لنفسك لتخرج من زمانها ومكانها الحاليين، والسباحة في محيط الخيال اللا محدود. وقد تتفاوت نفسيات الناس والوسائل التي تثير فيهم تلك الأحاسيس، وعليك أن تُجَرِّب مختلف الطرق لتكتشف الوسيلة المناسبة لإثارة أحاسيسك. ومن الوسائل التي كثيراً ما تبعث في نفوس الناس الانشراح وتكشف فيهم مكامن الإبداع والخيال هي الترتيب الأنيق للمنزل أو المكتب، أو الرائحة الزكية المنبعثة من

البخور أو العطر، أو الوجبة المفضلة، أو الصُور التذكارية، أو قراءة أعمال سابقة لك أو لغيرك. لهذا فعليك أن تهين نفسك البيئة المناسبة التي تكون مناسبا لجلب الأفكار المفيدة إليك، وجوا مهينا لاقتناص تلك الأفكار وتنميتها.

■ عود نفسك على التغلب على الروتين. فمثلا، إذا كنت تعودت الإفطار في المنزل مبكرا، فافطر في بعض الأيام في ساعة متأخرة من الصباح، أو فوت وجبة الإفطار بالكامل، ولاحظ ما سيتغير فيك وحولك. أيضا، لو تعودت الذهاب إلى العمل بسيارتك، فخذ سيارة أجرة، أو اتصل بأحد زملائك، أو اذهب إلى العمل ماشيا. كذلك، لا تعود نفسك الصلاة في مسجد واحد، وإنما اذهب بين الحين والآخر إلى مساجد بعيدة أو غير مألوفة لك.

■ اجلس في المسجد بعد إحدى الصلوات منفردا ودع لخيالك يسبح، وحاول أن تجلس في زاوية بمفردك وأنت مغمض عينيك، تسبح بخيالك في ما يرد إلى ذهنك من أفكار، وإذا كنت تخشى أن يقطع خلوتك بعض من يترددون على المسجد ممن تعرفهم ويعرفونك، فاذهب إلى مسجد آخر لا يعرفك فيه أحد.

■ اخرج إلى المنتزهات الجميلة والبحيرات والأنهار والشواطئ والجبال، وبمفردك إن أمكن؛ فمثل هذه الأماكن - التي تتسم غالبا بالجمال والهدوء - تعتبر بيئة خصبة لجلب الأفكار نظرا لصفاء الذهن وانسراح النفس والبعد عن صخب الحياة اليومية وما فيها من تراثب. عندما تذهب إلى أي واحدة من هذه فتخير مكانا جميلا وهادئا، وابق فيه لفترة طويلة، واترك العنان لخيالك ليسبح فيما ترى من مشاهد وتسمع من أصوات.

■ اذهب إلى الأسواق والمحلات - بمفردك - وخاصة تلك التي لم تذهب إليها من قبل. وليس من الضروري أن تكون لك حاجة تشتريها، وإنما هي فرصة لجعل عينيك تقعان على المئات - بل ربما الآلاف - من الأصناف والمواد المختلفة التي ربما تشاهدها لأول مرة. فكر في طريقة ترتيبها في المحل، وقارن بين بعضها البعض في الجودة والأسعار والأحجام. حاول أن تتصور الأطوار التي مرر بها كل صنف قبل أن يصل إليك. فكر فيما ستحتاجه أنت من أموال وأيد عاملة ومبان ومعدات فيما لو أردت صنع تلك المواد بنفسك. حاول أيضا أن تتصور طرقا أخرى غير مألوفة

لترتيبها في المحل أو تغليفها. حاول أن لا تتعجل في سيرك في المحل لكي تعطي لدهنك المجال للإتيان بالأفكار المنطقية وغير المنطقية.

■ اذهب إلى أحد المطاعم وتناول وجبة بمفردك وبدون عجلة. حاول أن تنتقي وجبة لم تأكلها من قبل، وخاصة تلك التي تبدو غريبة عليك. حاول مرة أن تطلب وجبة مرتفعة الثمن، واطلب في مرة أخرى وجبة بسيطة ورخيصة الثمن. فكّر فيما لو تغيّر نمط حياتك فأصبحت لا تأكل إلا الوجبات الباهظة الثمن، أو الوجبات الرخيصة البسيطة كتلك التي جربتها. فكّر في علاقة نوع الوجبة وثمنها بطبائع الناس وطبقاتهم ومراكزهم. أجل بفكرك في بلدان العالم، وحاول أن تتصوّر نسبة الذين لا يأكلون إلا الوجبات الغالية، وأولئك الذين قنعوا- أو إن شئت أجبروا- على أكل الوجبات البسيطة الزهيدة. إذا كنت متعودًا أن تأكل جميع الوجبات في بيتك، فجرب أن تأكل لأسبوع متواصل أو شهر بأكمله من أحد المطاعم، وانظر ماذا سيتغير في حياتك.

■ اخرج بسيارتك بمفردك إلى مدينة أخرى لزيارة صديق مثلاً، أو حتى لغير غرض. وإن لم تُرد ذلك فتجوّل بسيارتك في شوارع بلدتك، وخاصة تلك التي لم تذهب إليها من قبل. في أثناء قيادتك لسيارتك، لا تستخدم مذياع أو مسجّل السيارة، وإنما حاول أن تعطي لنفسك حريتها في الضحك واللعب والتمثيل والمتعة. قم بتمثيل أدوار لشخصيات معروفة، وتكلم بلهجتها. تصوّر نفسك خطيبًا أو محاضرًا أو محاميًا أو عالمًا أو ممثلًا. اختر لنفسك موضوعًا وقم في التحدث فيه وكأنك محاضر أو خطيب. أنصحك أن تصطحب معك في رحلتك مسجلاً، وأن تقوم بتسجيل المحاضرة أو الدرس الذي تلقيه، فإنك ستكتشف أن لديك طاقات هائلة لم تعرفها من قبل. وأريد التنبيه هنا إلى أن الانشغال بالحديث أو التفكير في بعض المسائل - وخاصة تلك التي قد يكون لها أثر سلبي في نفسك - قد يُسبب لك ارتباكًا في قيادتك للسيارة، وربما يُعريضك أو يُعريض غيرك لحوادث سير. إن أحسست بشيء من هذا، فتوقف عما ذكرت لك من تقمُّص شخصيات، أو محاولة إثارة أفكارك ومشاعرك، وعليك التركيز في قيادة السيارة إلى أن تصل إلى بُغيتك سالمًا معافى بإذن الله.

■ جدّد من ملبسك ومأكلك ومسكنك وسلوكك. ما أقصده هنا هو أن تخرج عن الروتين الذي حاولت أن تُفصّل حياتك عليه. إن استطعت أن تُغيّر في كل يوم شيئًا في حياتك - سواءً في

الملبس أو المأكل أو المسكن أو السلوك- فافعل. إن مثل هذا التغيير سيُنشِطُ فيك مكامن الإبداع، وسيلفِتُ إليك أنظار الناس الذين سيروا فيك دوام التجدُّد والنشاط، وربما تكون سبباً لإيقاظ مواطن الإبداع في أنفسهم هم أيضاً. وعليك هنا أن تنتبه إلى أن تقوم بعملية التجديد بطريقة لا تثير اشمئزاز أو سخرية أو سخط الناس عليك. طبعاً، قد تكون أنت محمّلاً فيما تفعله، ولكن خروجك عن المألوف قد يجلب إليك مشاكل أنت في غنى عنها.

■ استمع إلى أشرطة، وقرأ كتباً في الإبداع وتطوير المواهب. كذلك، فعليك أن تتدبّر في حياة العظماء والناجحين والمشاهير لتعرف التفاوت في حياتهم، والتغاير بين الحياة التي عاشوها والحياة التي تعيشها أنت. كذلك، فإن في دراستك لسير أولئك المشاهير محاولة منك لإقناع نفسك بالسّير على منوالهم، لكي تصل إلى ما وصلوا إليه. ولا ريب فإن في تاريخ عظماء الإسلام والمسلمين ما يُشبع النفوس التواقّة، ويُلهب العواطف المتقدّدة لكي تعتلي هي الأخرى إلى مصافّهم، وتسير في درجهم. لكن هذا لا يمنع من قراءة سير العظماء والمشاهير من غير المسلمين، وخاصة أولئك الذين أثروا في مجرى الأحداث في الأمم والحضارات التي عاشوا فيها.

كيف تُدوّن أفكارك؟

إنك لن تستفيد مما ذكرته لك في الفصل السابق ما لم تنتبه إلى كل فكرة تردُّ إلى ذهنك وتدوّنّها قبل فوات وقتها ونسيانها. عليك أن لا تدع أية فكرة تأتي إلى ذهنك دون أن تدوّنّها مهما رأيت من سداقتها أو حقارتها في تلك اللحظة. لهذا فإنني أنصحك بأن تحمل دومًا معك قلمًا ودفترًا أو تستخدم هاتفك في تدوين أفكارك، سواءً بالتسجيل الصوتي، أو باستخدام المفكرة. فيما يلي خطوات بسيطة يمكنك استخدامها ولكنها ستأتي لك- بإذن الله- بنتائج طيبة.

■ استخدم دفترًا خاصًا أو مسجلًا لتسجيل المواضيع أو الأفكار التي ترد إلى ذهنك. أما الأفكار فإنها ستتلور فيما بعد، وما عليك القيام به هو أن تكتبها على أيّ شيء، ثم تقوم بترتيبها فيما بعد، ولكن لا تدع الفكرة تذهب دون تدوين، وإن كنت في وضع لا يسمح لك بالكتابة، فاستخدم مسجل الصوت في هاتفك، ثم انقلها فيما بعد إلى الورق أو المفكرة.

- اكتب ما يحضرك عن الفكرة في ذلك الوقت، ولو كانت فقط عنواناً لموضوع. لا تنسَ أن تكتب التاريخ والوقت وربما المكان الذي أتت إليك فيه تلك الفكرة. مثل هذه المعلومات ستبعث فيك هاجس الثقة والاعتزاز بالنفس عند مراجعتها بعد فترة، وربما كانت سبباً في تنشيط أفكارك وإعادة الهمة إليك من جديد.
- دع ما تكتبه أمام عينيك أو - على الأقل - في متناول يدك.
- بين حين وآخر، ارجع إلى ما كتبتَه من مواضيع أو عناوين لأفكار وزد عليها إن كان يحضرك شيءٌ في ذلك الوقت.
- استخدم نشاط الاسترخاء اليومي لتحفيز عقلك الباطن على التوسُّع في تلك الأفكار وبلورتها.
- عندما تكون لوحديك في السيارة أو في خلوة في مكان جميل بعيد عن أنظار الناس وآذانهم، يمكنك قراءة بعض ما كتبتَه من قبل من أفكار أو مواضيع، ثم أتيح العنان لنفسك لتتكلم فيها بتوسُّع بما تحضرك من كلمات وعبارات، وكأنك تُقدِّم محاضرة للناس حول ذلك الموضوع، ولا تتكلف في انتقاء الكلمات والعبارات، وإنما اجعلها تخرج كما ترد إلى ذهنك سواءً أكانت باللغة الفصحى أم بالعامية أم حتى بلغات أخرى، ولا تنسى أن تسجِّل تلك الكلمات، ثم تحيِّن الفرصة لاحقاً لتفريغ الكلام الذي قمت بتسجيله، وستجد أن الموضوع قد بدأ يتضح ويتوسَّع أكثر.